الأخطار العسكرية التي تواجه العالم العربي
وكيف يتقيها

للعميد طه باشا الهاشمي

يجدر بنا قبل البحث في هذا الموضوع أن نحدده ، ونضع له إطارا لايتعداه البحث لأن الموضوع الذي نعالجه يشبه إلى حد ما المواقف الحربية التي يعالجها رؤساء أركان الجيوش في وقت السلم لتقدير الخطة التي تسير عليها البلاد في حالة تعرضها لخطر الحرب . فالمعالجة وهي تقدير الموقف كما يعبر عنه عسكريا تساعد على وضع الخطة الحربية التي تجرى بموجبها الحركات الحربية في زمن الحرب .

وكان المارشال مولتكه رئيس أركان الجيش البروسي في منتصف القرن الثامن عشر أول من انتبه إلى معالجة المواقف العسكرية ووضع الخطط الحربية في وقت السلم فاقتدى به بعد ذلك رؤساء أركان الجيوش في الدول الأخرى ، وأخذوا يضعون الخطط الحربية في وقت السلم ويحورونها كلما اقتضى ذلك تبدل الموقف السياسي والوضع العسكري .

ونحن في معالجتنا الموضوع نريد أن نسلك إلى حد ما الطريقة المتبعة في وضع الخطط الحربية ويلوح لنا أننا نستطيع بذلك أن نحدد الموضوع .

الموقف السياسي :

لا ريب في أن العالم سائر إلى الحرب ، والحرب لا بد من نشوبها بين المجموعتين العالميتين أي المجموعة الروسية والمجموعة الأنجلوسكسونية ، أو بالأحرى روسيا ومن تبعها من الدول من جهة وأمريكا وانجلترا من جهة أخرى .

ويلوح لنا أن من أهم أسباب التأزم العالمي الذي أخذ يشتد كثيرا هو فقدان التوازن السياسي أو بتعبير آخر فقدان وجود دولة عازلة تستطيع بانضمامها إلى أحد الفريقين المتنافسين أن توقف المنافسة وتحول دون نشوب الحرب . ولو كانت الحرب انتهت ببقاء ألمانيا محتفظة ببعض قواتها لما بلغت المنافسة بين الفريق الروسي والفريق الأنجلوسكسوني الحد الذي

نشاهده الآن ، لأن مجرد انضمام ألمانيا إلى أحد الفريقين كان يجعل الفريق الثانى يفكر كثيرا قبل الإقدام على الحرب . زد على ذلك أن خروج ألمانيا من الحرب محتفظة ببعض قواتها كان من غير شك يحول دون توسع نفوذ روسيا إلى وسط أوروبا وتغلغله بهذا الشكل المخيف .

لا نريد أن نعلم من هو المحق فى هذه المنافسة ... هل الفريق الروسى الذى يزعم أنه يريد أن ينقذ الشعوب المستضعفة من نير الاستعمار ؟ أو الفريق الأنجلوسكسونى الذى يدعى أنه يريد أن ينقذ العالم من أخطار الشيوعية ؟ وإذا ماصدق كلا الفريقين فى بعض دعواها فليس من شك أن فى ادعائهما نواحى لا يطمئن إليها البال ، فروسيا مثلا تزعم أن الفريق الانجلوسكسونى يعد العدة لإقامة الحصار حولها ، ويسعى لتأليب دول العالم ضدها ، لهذا ليس فى كل ما تتخذه من تدابير سياسية فى شرق أوروبا سوى إبعاد خطر الحرب عن بلادها واتخاذ الحيطة للدفاع عنها عند الحاجة ، على حين أننا نرى الفريق الأنجلوسكسونى يحذر العالم من السياسة الاعتدائية التى تسلكها روسيا ، ويرى فى امتداد نفوذها إلى وسط أوروبا خطرا على الحضارة الأوروبية . أما الذى يتتبع سير الحوادث فيرى أن روسيا فى مزاعمها تريد أن تخفى السبب الذى دفعها منذ قرون إلى التوسع والنزول إلى ضفاف الأبحر الحارة ، سواء فى الشرق الأوسط أو فى الشرق الأقصى . وهناك سبب آخر له خطورته فى الحرب والسلم وهو الاحتفاظ بمنابع الزيت من جهة والحصول على منابع أخرى من جهة ثانية . أما الفريق الثانى فيخفى وراء ادعاءاته الهدف الأصلى من منافسته لروسيا وهو الحيلولة دون نزول الأسطول الروسى إلى الأبحر الحارة من جهة وإبعاد روسيا عن منابع زيت البترول فى الشرق الأوسط من جهة أخرى . وثم سبب آخر يتجلى بالمذهب الاقتصادى الذى يدين به كل من الفريقين ، والواقع أن كلا من المذهبين لا يرى سلامته إلا بالقضاء على المذهب المنافس له .

إذن فى مثل هذه المنافسة المتأصلة ، ولا سيما إذا كان الفريقان المتنافسان يتساويان فى القوى أو يكادان ، لابد من نشوب حرب بينهما . لهذا نعود فنقول إن الحرب لابد من وقوعها آجلا أو عاجلا .

دار الحرب :

نقصد بتعبير دار الحرب البلاد التى تجرى فيها الحرب فى حالة نشوبها بين الفريق الروسى والفريق الأنجلوسكسونى ، والواقع أنه لمن الصعب تحديد دار الحرب فى حرب تقع بين روسيا وتوابعها وانجلترا وأمريكا وتوابعهما بعد أن أصبحت القوات الجوية العامل الأول

فى اكتساب النصر ، فليس من ريب فى أن العالم بأجمعه سيصبح دارا للحرب فى هذه الحرب .

لقد قال تشمبرلين رئيس الوزارة البريطانية الأسبق قبل نشوب الحرب الأخيرة إن نهر الرين حدود انجلترا . أما الآن ففى استطاعة المستر آتلى أن يقول إن اليونان والعراق حدود بريطانيا ، أما ترومان فبوسعه أن يقول إن بلاد الصين حدود أمريكا . ومع ذلك ما دامت الحرب لاتنتهى إلا باشتراك القوات الأرضية فلا بد إذن من تحديد دار الحرب فى حالة اندلاع لهيب الحرب .

والحقيقة أنه على الرغم من عدم وجود حدود مشتركة بين روسيا وأمريكا فان القوات الروسية والقوات الأنجلوسكسونية ستقف وجها لوجه فى الحرب التى ستنشب ، ذلك لأن الجيوش الأنجلوسكسونية من جهة والجيوش الروسية من جهة أخرى ما تزال تحتل ألمانيا ، فضلا عن أن انجلترا حليفة لتركيا واليونان ، وأن لإنجلترا بموجب المعاهدات مع بعض الدول العربية قواعد عسكرية فى الشرق الأدنى وما تزال قواتها تحتل قناة السويس ، وهى بحكم الحلف والمعاهدات ستسرع إلى نجدة تركيا واليونان ، وستستخدم القواعد العسكرية فى العراق وشرق الأردن وقناة السويس ، أما أمريكا فاستنادا إلى حلفها مع انجلترا سترسل قواتها إلى تركيا واليونان وتستخدم قواتها العسكرية فى بلاد العرب . إذن لا بد من احتلال القوات الأنجلوسكسونية هذه القواعد العسكرية فى حالة الحرب ، أما الأقطار العربية التى لا يحق للقوات الأنجلوسكسونية أن تستفيد من مرافقها العسكرية فى وقت السلم كسوريا ولبنان فلا بد أن تجبر على الوقوف إلى جانب الفريق الأنجلوسكسونى شاءت أم أبت . ولكى نفهم الأسباب التى تضطر الدول العربية إلى أن تصبح بلادها قاعدة للحركات العسكرية ينبغى لنا أن نشير إلى الأهداف التى يتوخاها كل من الفريقين المتخاصمين .

أهداف الحرب :

أصبحت سياسة روسيا بعد الحرب سياسة ترمى إلى التوسع من جهة وبسط نفوذها فى البلاد المجاورة من جهة أخرى ، فقد شارفت روسيا ببلادها بلاد البلطيق ، وامتلكت نصف بولونيا ، واستولت على شرقى بروسيا ، واحتلت شمال كوريا ، واقتطعت من فنلندا بعض مقاطعاتها ، وبهذه الأعمال ضمنت روسيا بعض أهدافها فى التوسع ، وبعرضها النظام الشيوعى فى رومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا وهنغاريا وبولندا قد بسطت نفوذها فى شرق أوروبا . وباخضاعها تشيكوسلوفاكيا على قبول النظام الشيوعى مدت يدها إلى وسط أوروبا ، وبمساعدتها

الشيوعيين الصينيين فى بلاد الصين بسطت سلطانها فى شمال الصين . هكذا أنجزت روسيا أهدافها فى بسط نفوذها على البلاد المجاورة لها ، وما تزال ترمى إلى اقتطاع الولايات التركية المتاخمة لبلاد القفقاس ، وتأسيس قواعد عسكرية فى المضايق التركية ، وتريد أن تبسط نفوذها فى إيالة أذربيجان الإيرانية ، فروسيا بسيرها على هذه السياسة التوسعية تريد فى الوقت ذاته إبعاد مصائب الحرب عن بلادها والوصول إلى أهدافها ، ولقد استطاعت أن تبعد بلادها عن مصائب الحرب ببسط نفوذها على بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، واستيلائها على نصف ألمانيا وبذلك جعلت المطارات التى ترسل الطيارات القاصفة إلى بلادها بعيدة عن حدودها . بيد أن انحياز تركيا واليونان إلى جانب انجلترا واحتلال القوات البريطانية للقواعد العسكرية فى العراق وشرقى الأردن عرّض منابع البترول فى بلاد القفقاس للخطر وقرب مصائب الحرب من بلادها .

لهذا تستهدف روسيا فى عملياتها الحربية الصمود فى وجه الزحف الانجلوسكسونى فى وسط أوروبا من جهة والهجوم على بلاد تركيا وبلاد إيران من جهة أخرى . وإذا ما نجحت روسيا فى حركاتها الهجومية هذه تكون قد توصلت إلى أهدافها الحربية بامتلاكها المضايق التركية والنزول إلى شواطىء البحر المتوسط .

أما الفريق الانجلوسكسونى فينبغى له ، لكى يمنع روسيا من تحقيق أهدافها الآنفة الذكر أن يسرع إلى نجدة تركيا واليونان ، وبرغم إيران على فتح حدودها للجيوش البريطانية والأمريكية لكى تحول دون توغل روسيا فى بلاد إيران ، وفى كلتا الحالتين أى فى حالة الإسراع إلى نجدة تركيا وفى حالة دخول الجيوش فى بلاد إيران لا بد أن تصبح البلاد العربية قاعدة لحركات الجيوش الانجلوسكسونية ، لأن الجيوش المذكورة ستنزل إلى ميناء حيفا وتمر بالأردن والعراق للذهاب إلى إيران ، كما أن الجيوش التى تسارع إلى نجدة تركيا ينزل بعضها إلى بيروت وطرابلس الشام ويمر بلبنان وسوريا . وهكذا يتضح لنا أن البلاد العربية ستُجرف إلى الحرب بمرور الجيوش البريطانية من شرقى الأردن والعراق ، واستخدامها للقواعد العسكرية فيهما بحكم المعاهدات ، واتخاذ لبنان وسوريا قاعدة لحركاتها بالحجة والإقناع أو بالجبر والإكراه — زد على ذلك أن البلاد العربية ستصير قواعد صالحة للطيران ، إذ أن أسراب الطائرات ستنزل إلى مطاراتها سواء فى سوريا أو فى العراق أو شرقى الأردن ، وتحمل القنابل إلى بلاد روسيا ، كما أن سد الزحف الروسى فى إيران يضطر القوات الانجلوسكسونية إلى حشد القوات فيها . أما الجانب الروسى فيرى فى إيران هدفا حربياً ممتازاً فيستهدف مهاجمتها

لطرد القوات السكسونية منها والاستيلاء على منابع البترول الغنية فيها ، والبترول كما نعلم من أول العناصر فى الحرب .

إذن لا مناص من أن يواجه العالم العربى أخطار الحرب فى المستقبل ، والغريب أنه يتعرض لأخطار لا ناقة له فيها ولا جمل . ومن المؤسف أن البلاد العربية بوضعها الراهن عاجزة عن أن تبعد عنها أخطار الحرب :

أولاً — لأن جيوشها ضعيفة من حيث التنظيم ، وليس لها معدات كافية ، وليس فيها مصانع ومعامل لتموين الجيوش وهى مفتقرة فى هذه الناحية إلى مساعدة الأجنبى ، وبلاد وضعها العسكرى على هذا الشكل لن تستطيع المحافظة على حيادها . وقد استطاعت تركيا فى الحرب الماضية أن تحافظ على حيادها لأن جيشها كان بدرجة من المناعة ، مما جعل الفريقين المتحاربين يحترمان حيادها ، زد على ذلك أن الموقف العسكرى العام كان يتطلب من الجانبين بقاء تركيا محايدة لتقصير جبهة الحركات ، والفضل فى بقاء تركيا محايدة يعود فى الدرجة الأولى إلى قوة جيشها ، لأنه لو كان ضعيفاً لاكتسحتها قوات الحلفاء كما اكتسحت إيران ولهاجمتها القوات الألمانية

ثانياً — ولو تيسر للبلاد العربية جيوش قوية واستطاعت أن تمونها بالصناعات الوطنية لما استطاعت أيضاً أن تبعد أخطار الحرب عنها ما دامت هى محرومة من خطة دفاعية مشتركة تنبثق من حلف عسكرى يستند إلى سياسة خارجية موحدة ، فميثاق الجامعة العربية الحالى لم يحقق الوحدة لا فى السياسة الخارجية ولا فى الدفاع .

ثالثاً — وإذا تعاقدت البلاد العربية فيما بينها على سياسة خارجية موحدة وخطة دفاع مشتركة ، فلا تستطيع أيضاً أن تبعد أخطار الحرب عنها ما دام بعضها قد قدم قواعد عسكرية لأحد الفريقين المتنافسين فى بلده ، لأن مجرد وجود هذه القواعد فى أحد الأقطار العربية يعرض البلاد العربية الأخرى إلى أخطار الحرب ولا سبيل لأى بلد من البلاد العربية الأخرى أن يحتفظ بحياده والبلد المجاور له قد فتح أبوابه لمرور الجيوش المحاربة وقدم لها القواعد .

وأخيراً إذا تم للعرب الوحدة التى ينشدونها ، وإذا تيسر لهم أن ينظموا جيشاً قوياً بعدده وعدده واستطاعوا أن يمونوا هذا الجيش بالصناعات الوطنية ، فإن مجرد بقاء جزء من أجزاء البلاد العربية خاضعاً لنفوذ أحد الفريقين المتخاصمين باسم حلف أو وصاية أو حماية أو مساعدة أو دفاع مشترك . . . أو بما شئت من أسماء اعتادت السياسة الحديثة أن تبتدعها فإن ذلك الجزء من البلاد العربية يسبب اندلاع لهيب الحرب فى البلاد العربية أجمع .

كيف تتقى البلاد العربية أخطار الحرب :

والذى يلوح لنا أنه لمن الصعب جداً لأى بلد من بلاد العالم أن يبقى محايداً فى حرب معاصرة تكاد تشترك فيها جميع الدول ؛ والذى نراه أن يكون للدولة من المناعة ما يساعدها على تجنب مصائب الحرب جهد الطاقة . والذى يسترعى الانتباه فى موقف الدول العربية أنها تكونت بعد الحرب العالمية الأولى بشكل جعل الأجنبى يصبح فيها المنتدب السيد ثم أمسى بعد ذلك الحليف الذى تخوله المعاهدة حق الاحتلال فى زمن السلم ولم يسبق قبل ذلك أن الحليف القوى ينتزع من حليفه الضعيف حق احتلال بلده فى السلم ، فهذا التحالف الشاذ الذى يربط دولة صغيرة بدولة كبرى ويجرها إلى حرب ضروس ، هو الذى يعرض الدول العربية لأخطار حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل .

فتركيا دولة لا يتجاوز نفوسها العشرين مليونا وهى مجاورة لأعظم دولة ما برحت تختلق الحجج للاعتداء عليها ، ومع ذلك استطاعت بقوة جيشها أن تجعل حلفاءها يحترمونها ولا يقيدونها بقيود الاحتلال فى وقت السلم ، مع أنها معرضة للخطر المباشر ، وهى أحوج إلى معاضدتهم لتقف أمام خصمها الجبار ؛ إلا أن مناعتها وقتها شر ذلك . فمن الغريب أن تختلق الدول الغربية الحجج لتبرير احتلال البلد الحليف فى وقت السلم ، بينما هى تعلم أن ضرورات الحرب تقضى بالاحتلال دون الانقياد إلى معاهدة . لقد هاجم البريطانيون والروس بلاد إيران واحتلوها فعلا من غير أن يستندوا فى ذلك إلى معاهدة ، ذلك لأن ضرورات الحرب ساقتهم إلى هذا الاعتداء الذى كان هدفه تأمين الاتصال بين الحلفاء وروسيا . لهذا فباستطاعة الدول المحاربة أن تملى إرادتها على الدول الأخرى لتنحاز إليها فى زمن الحرب وتحتل بلادها حين تقضى ضرورات الحرب بذلك . وكان باستطاعة مصر أن تنقذ نفسها من مصائب الحرب لو كان لها جيش قوى ، ولو لم تكن مُحْتَلَّةً بإحدى الدول المحاربة ، وتحمى إيطاليا ليبيا . وبديهى أن ذلك لا يتم إلا إذا كانت البلاد العربية الأخرى مستقلة تمام الاستقلال ، بيد أن وجود القوات البريطانية فى مصر واحتلال الأجنبى للبلاد العربية الأخرى بحجة الوصاية ، وحماية إيطاليا لليبيا ، جرف مصر والبلاد العربية الأخرى إلى الحرب ، فأصابها ما أصابها وما زالت تعانى شر هذا المصاب .

وإذا أرادت البلاد العربية أن تتقى أخطار الحرب فما عليها إلا أن تتخذ التدابير الآتية :

أولا — تخلص بلادها من الاحتلال الأجنبى : وقد سبق أن أشرنا إلى أن احتلال الأجنبى

لبلد من البلاد العربية يجعلها هدفاً لأخطار الحرب ، إذ أن الأجنبي يجعل ذلك البلد قاعدة لحركاته ، وبذلك يعرضه إلى هجوم خصمه في وقت الحرب فتصبح البلاد العربية بأجمعها ساحة حرب .

ثانياً — توحيد السياسة الخارجية في البلاد العربية : ويكون من أهداف هذه السياسة عدم السماح لأية دولة عربية بأن تتعاقد مع الأجنبي دون موافقة الدول العربية الأخرى . وبهذا يتسنى للدول المذكورة أن تبعد نفوذ الأجنبي عن بلدانها فلا تفسح له المجال ليتعاقد مع إحداها بحجة الدفاع أو المساعدة أو غير ذلك .

ثالثاً — وضع خطة دفاع مشتركة للجيوش العربية : إن توحيد خطة الدفاع لجيوش البلاد العربية ينسق تنظيم جيوشها من جهة ، ويجعلها قادرة على الصمود للعدو في وقت الحرب من جهة أخرى ، وبذلك يتسنى لها أن تقف في وجه العدو . وإذا ما رأت أن قواتها لا تكفي للصمود ، فإنها حينئذ تتعاقد مع الحليف الطبيعي لها وتتعاون معه للتغلب على العدو .

ليس من شك في أن التدابير الثلاثة الآنفة الذكر إذا لم تق البلاد العربية من خطر حرب عالمية لا سبيل لأية دولة أن تبقى فيها محايدة ، فإن التدابير المذكورة تنقذها على الأقل من أضرار الاحتلال في وقت السلم .

وبديهي أن توحيد خطط الدفاع يتطلب من الدول العربية أن تسلك سياسة اقتصادية موحدة لتسد حاجات جيوشها في زمن الحرب ؛ لأن الجيوش مهما كانت قوية ، فإنها — إن لم تستطع أن تمون نفسها بالمؤن الحربية من مصنوعات بلادها — تكون مضطرة إلى طلب المعونة من الأجنبي ، وقد تجرها هذه المعونة إلى الحرب .

فلسطين وليبيا

ولو فرضنا أن البلاد العربية قضت على الاحتلال الأجنبي ووحدت سياستها الخارجية ، ووضعت خطة دفاع مشتركة بينها ، وقوّت جيوشها بحيث أصبحت تصمد لكل هجوم وتجعل الدول تحترمها وتخطب ودها فإن هذا وحده لا يكفي لتصبح البلاد العربية بمنجى من الأخطار الحربية . ما دام في فلسطين دولة يهودية . إن فلسطين النقطة الضعيفة في الجبهة العربية ، أو بتعبير آخر ، الثغرة التي يستطيع المستعمر أن ينفذ منها إلى البلاد . وإن السماح بتأسيس دولة يهودية في فلسطين مهما صغر حجمها معناه تأسيس رأس جسر في بلاد العرب للمستعمر .

وغني عن البيان أن الدولة اليهودية لا يمكن أن تقوم إلا بمساعدة الأجنبي ، وإذا رفض

الأجنبي تأسيس علاقة معها فهي حتما تغريه بالمال ليكون حليفها أو وصيها أو حاميها . وإذن ، ما دامت فكرة تأسيس دولة يهودية على ضفاف البحر المتوسط قائمة فلا بد أن تكون فلسطين ثغرة فى الجبهة العربية . وقد تعقد هذه الدولة حلفاً مع الدول العربية ، وتتعهد بالسير على سياستها الخارجية وتمتنع عن عقد أية معاهدة مع الأجنبي دون رضاء الدول العربية . ولكنه لا يبعد أن تصبح البلاد العربية بين عشية وضحاها معرضة لأخطار الحرب لأن الدولة اليهودية فتحت موانئها للقوات الأجنبية . والواقع أن البلاد العربية كلما تخلصت من الاحتلال الأجنبي وقبضت على موانئها فى ضفاف البحر المتوسط تكون قد أبعدت عنها خطر الحرب لأن البحر ذاته ، يُعدّ خط دفاع لها .

ونقطة الضعف الأخرى فى الجبهة العربية هى ليبيا ، ولقد تعرضت مصر لأخطار الحرب لمجرد وجود قوات أجنبية فى ليبيا بعد أن فرضت إيطاليا حمايتها عليها . لا شك فى أن الأجنبي يحتل بلاد الغرب العربى ، غير أن هذه البلاد ما تزال أكثريتها الساحقة عربية ، ويتمتع بعضها بنظام حكم لا بد أن يوصلها إلى الاستقلال . أما ليبيا فنفوسها قليلة وإذا ظلت محمية من قبل الأجنبي ، وظل باب الهجرة مفتوحا فى وجهه ، فلا بد أن يطغى عليها سيل الأجنبي فتصبح بلداً أجنبيا يعزل البلاد العربية بعضها عن بعض ، وبذلك تنقطع الصلات بين الشرق العربى والغرب العربى فضلا عن أن بقاء الأجنبي فيها يجر ويلات الحرب إلى البلاد العربية .

طه الهاشمى